

تحقيق

تطول المسافة الفاصلة بين زحلة ومنطقة الفاعور. تطلها مشاهد الرجال والنساء المنكبين على حراثة السهل، ريثما ينقل الأولاد لحفاة لعبتهم من منتصف الطريق غير المؤهل الى جانبه. لا بيوت من حديد ولا عشوائيات على عكس ما يتصوره البعض. الع رب هنا يسكنون في مبان غيرهم من المواطنين اللبنانيين... ويلبسون ثيابا عادية أيضا

عرب الفاعور لا بد من المر وإن طالك السفر

رولا إبراهيم

منذ نحو 50 عاما، كان سبعة أشخاص من العرب فقط ينتخبون في المتن الشمالي، وأبو خالد أبرزهم. تمكن الرجل من بناء صداقات متينة مع سياسيي المنطقة وصولا الى أبنائهم ومخلفاتهم في ما بعد، وكان صلة الوصل الوحيدة بينهم وبين باقي العرب. لاحقا زاد عدد الناخبين العرب ولم يعد مفتاح أبو خالد يصلح لفتح كل أبواب رفاقه، لرغبة كل واحد منهم في تسلّم تلك المهمة والاستفادة منها. فلطالما كان عرب الفاعور شغل المتخمين الشاغل، السياسيين منهم خصوصا. والمقولة الشهيرة هنا تروي كل شيء: «على كل مبتدئ سياسي وطامح نيابي أن يمرّ في مدرسة عرب الفاعور حتما. على الرغم من قلة عددهم في المتن الشمالي (نحو 550 صوتا)، إلا أنهم وقيل كل استحقاق نيابي أو بلدي يتركون أشغالهم للتفرغ لاستقبال سياسيي المتن ورؤساء بلدياته. والزائر كون كثير من النائب ميشال المر الى رئيس حزب الكتائب اللبنانية أمين الجميل مرورا بنائب تكتل التغيير والإصلاح نبيل نقولا وصولا الى رئيس بلدية الجديدة - البوشيرية - السد ونائبه والمختار. وتقاليد العرب لا تردّ أبدا من الضيوف خائبا، بل تتجاوز ذلك لتتسج بينها وبينهم صداقات ومصالح مشتركة.

صمدت عائلة أبو خالد طويلا. ولطالما شهد منزلها صولات وجولات سياسية لا تعدّ ولا تحصى ومن مختلف الألوان السياسية، الى أن توفي أبو خالد قبل نحو شهر تقريبا تاركا إرث علاقته الى ابنه خالد. لا يلتزم خالد اليوم بلائحة معينة. لا هدف سياسيا للأخير بل اجتماعي، على حدّ قوله. فبعد أن كان «النائب ميشال المر ديك المتن الوحيد، حلّت الديموقراطية اليوم واختلف المشهد السياسي». للنائب الراحل بيار الجميل معرّة خاصة في قلب خالد الحسن. أما اليوم فالتواصل جار مع الشيخ أمين مباشرة. ينفي أن يكون «محسوبا على أحد»، ولكن «لا نترك المر، كنا معه تاريخيا ولا زلنا، انما لا نلتزم بلائحته». للأخير صداقات تمنعه من الالتزام بلائحة واحدة، فعائلته لم تقصد سياسيا يوما من أجل خدمة وعادات خائفة. لذلك من الضروري تطعيم اللائحة المنتخبة. يشير خالد الى أن ملكية 14 آذار الانتخابية كانت الأنشط في الانتخابات النيابية السابقة وقبلها الانتخابات الفرعية. وكان العمل يتم في مكاتب تيار المستقبل لحشد الناخبين لمصلحة القوات والكتائب. وهكذا كان، إذ صبت أصوات العرب في صناديق هذا الفريق. غير أن أهالي الفاعور المتخمين ينفون تقديم «الشيخ سعد» أي خدمة لهم. فالشيخ لم يستقبلهم عندما كان رئيسا للحكومة و«لم يسعدنا لا هو ولا والده كإبناء طائفة واحدة»، فيما المر «فتح لنا أبواب مكاتبه عندما كان وزيرا للداخلية ولهذا نحبه». لم يكتف المر بذلك، إذ قام بزيارة شهيرة للفاعور آنذاك ونحرت الخراف على شرفه وحضرت المناسف الشهية بعد أن باركها أبو الياس بالعبور فوق الخراف.

أما بلديا، ولكون نفوس عرب الفاعور مسجلة في الجديدة - البوشيرية - السد، فالعلاقة مميزة مع رئيس بلدية تلك البلدات أنطون جبارة ونائبه منصور فاضل. وأيضا مع مختار منطقة الجديدة هادي يزبك وقبلها مع والده الشيخ نزيه يزبك. وأهمية العرب البلدية تتعدى فائدتهم النيابية بأشواط كون أكثرية تلك الأصوات مسجلة في

الجديدة، وإذا ما تمّ فصل الجديدة عن البوشيرية والسد يصبح لهؤلاء التأثير الأقوى في الانتخابات البلدية وهوية الرئيس المنتخب والأعضاء والمخاتير، من دون إغفال تأثيرها اليوم أيضا بشكل أو بآخر. لذلك يدأب جبارة - الحائز على غالبية أصواتهم - على تلبية مطالب العرب ويرسل إليهم كميات من الرزق أحيانا كبادرة حسن نية. والأموال التي تصرف من البلدية تصرف في أماكن محددة من الفاعور. جبارة، كغيره من سياسيي المتن، من أول الحاضرين في أفراح الفاعور وأتراحها، رغم المسافة الطويلة التي يجتازها قاصد البقاع من بيروت. بدورهم، يجيد العرب اللعبة السياسية التقليدية بعد خبرة طويلة مع المرشحين. تراهم قبل كل انتخابات نيابية أو بلدية يستغلون اهتمام المرشحين الكبير بهم. وبعضهم يوهم المرشح بعدد ناخبين أكبر من عددهم الفعلي، فيما قسم آخر يعد

بالتصويت لأحدهم وما أن تطأ رجله عتبة مركز الاقتراع حتى يسقط اسم خصمه في الصندوق. يرصد وجود هؤلاء بكثرة في المتن الشمالي، في اليومين السابقين للانتخابات النيابية، إذ يقومون بجولات على جميع مرشحي القضاء. ويردّ بعض السياسيين الأمر الى «رغبتهم بقبض ثمن أصواتهم»، فيما يعتبر العرب هذا الكلام بمثابة إهانة لمبادئهم وتقاليدهم.

أصواتنا لا تُشرى

أما كيف وصل عرب الفاعور الى المتن الشمالي؟ فلهذا قصة أخرى يرويها خالد. قديما، كان قسم من العريبان يكسب لقمة عيشه من تربية الماشية وقسم آخر من صيد السمك. وفي حين كان يقصد مربو المواشي سهل البقاع صيفا، لم يترك البحارة المتن أبدا وبقوا مقيمين في المنطقة الى أن تم إحصاؤهم في سنة 1982 مع سكان المتن. أما الرواية

بعد ان كان عرب الفاعور منسيين، أصبحوا اليوم بيضة قبان في الحياة السياسية

الأخرى فتقول انهم كانوا عربا رُحلاً يعملون في معامل نهر الموت ويقطنون في منطقة الروبيسات التي كانت أرضاً بوراً. والفضل في ضمهم الى قضاء المتن الشمالي للناخب السابق أوغست باخوس. وبعدها فتح بازار تبادل المكان لأولاد العائلات العربية، فزاد عددهم وزادت معهم الأصوات الناجية. ومنذ تلك اللحظة، بدأ استغلالهم السياسي. وربما لعنة الانتخابات تحولت الى نعمة لاحقا، فبعد أن كان هؤلاء منسيين ورُحلاً أصبحوا اليوم بيضة قبان مهمة في الحياة السياسية. وخلافا للاعتقاد السائد، ليست أصوات عرب الفاعور «بلوك» واحداً ولا عائلاتهم متفقة حول أسماء محددة. لكل منهم مرشحوه المفضلون و«أصدقائه المقربون» ومصالحه الخاصة. انما جامعهم لا يتغير: «أبو الياس».

عبد الرحمن بشارة، مفتاح انتخابي آخر. في قبضته نحو 200 صوت أو أكثر، على حدّ قوله. علاقته كسابقه وطيدة بالمر ورثها أيضا عن والده الذي لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يوصيه بالمر: «في تاريخ طويل بيناتنا». لذلك «جب بيت البشارة الذي يقارب المئة صوت كله لرعي المتن». فالمر «يواسينا في أوقات الشدة ويلبي جميع طلباتنا». ويقتصر التواصل في الأيام العادية على مدير مكتبه نديم أبو جودة. صداقة العرب مع المر لم تمنعهم في السابق من التصويت لخصمه الأكبر مخيبر، والخيارات تلك نابعة من قناعاتهم الشخصية إذ لا يؤثر فيها أمر من هذا المرشح أو تمّن من ذلك. الا أنه لم يكتب لتلك العلاقة أن تستمر مع ابن أخيه النائب الحالي غسان مخيبر. كناشياً، الأحوال على أفضل ما يرام، وكانت تجمعهم بالنائب الراحل بيار الجميل «صداقة طيبة» وأيضا مع صهره ميشال مكتف. أما اليوم فالأفضلية «للشيخ أمين». هل ستصوتون لمكتف اذا قرر الترشح منفردا؟ نعم «سنعطيه اذا ترشح». مرة أخرى يظهر عرب الفاعور «مبدئية وتقديراً للصداقات السياسية»، كما يحلو لهم أن يسموها. عونياً، العلاقة محصورة بالنائب نبيل نقولا عبر المرشح السابق جان أبو جودة. أما نقولا، فالإتصال مباشر معه في الظروف الطارئة كحاجتهم الى «واسطة» لترتيب معاملة ما أو اذا وقعوا في المشكلات: «تقديراً لمساعدته اقترعنا له في الدورتين السابقتين».

قبيل الموعد الانتخابي تجتمع عشيرة آل بشارة للاتفاق حول لائحة من المرشحين، منعاً «للسمسرة». اجتماع يسبقه اجتماع على مستوى أكبر مع أبو الياس الذي يرسل في طلبهم رافعا في وجههم ورقة مثقلة بالأسماء: «هذه لأنحني». وبعدها «لا ضرورة لأن تمزّ ملكية المر علينا لأن أصواتنا مضمونة لصالحه». كلام يؤكده كبير العائلة زيب علي بشارة، صارخا بأعلى صوته على الطريق البقاعية: «نحن مع دولة الرئيس وزوجته سيلفي ومبدانا معه ولا نغيره ولا يغيرنا المال».

يدحض عرب الفاعور المتخمين (عائلات عسكر، حسن، مرعي وبشارة) كل الشائعات التي تطالهم من تلقيبهم بالمجنسين الى شراء أصواتهم بالمال السياسي. ينطلقون من شعار «اللي اشتراك باعك» لينفضوا عنهم كل تلك التهم: «إذا في مصاري مساعدة، مبلغ شبه رمزي أي أجره الفنان والبنزين. مبلغ يقارب المئة ألف أو مئة دولار ناخذهم انما شراء أصوات: لا». وأصلا أصوات ناخبهم معروفة الاتجاه، فصندوقهم الانتخابي منفصل عن باقي الصناديق ولا يحوي الا أصواتهم ومركزه منطقة الجديدة.



يدحض عرب الفاعور كل الشائعات التي تطاولهم، من تلقيبهم بالمجنسين، الى شراء أصواتهم (أرشيف - هيثم الموسوي)

درج المر وسيفه

وما استمرار تسميتهم «بالمجنسين» إلا للضغط عليهم والتقليل من قيمة أصواتهم. وما يظهر هؤلاء المتخمين بصورة «غير حضارية»، مزايدة وسائل الاعلام في ما بينها على نقل صورة البياصات الانتخابية والهمروجة التي يحدثونها أمام مراكز الاقتراع من موسيقى عالية الى زغاريد النساء وصراخ الأولاد. وتلك بدعة يبرع فيها أحد المجنسين القاطنين في البقاع ولا تنطبق على المجنسين الآخرين. إذ يحلو له أن يستقدم عددا كبيرا من الرجال والنساء والأولاد الى المتن الشمالي لخلق ضجة إعلامية ومتنية، فيما عدد الناخبين في تلك البياصات لا يتعدى الخمسين بالحدّ الأقصى.

على بطاقات الهوية، أصبحت الأمور أفضل بالنسبة إليهم، وأسوأ في ما خص أبو الياس. لم يعد الأخير يموّن عليهم كالسابق وياتت «الحالات الشاذة» كثيرة بعد أن «نالوا حرّيتهم» ويات قرارهم بيدهم، فتوزعوا حسب خيارات كل منهم على مختلف الأحزاب السياسية الموجودة في المتن، رغمًا عن إرادة المر. فخلافا للسائد، لا تستعطي تلك الفئة، كما يظن البعض أو يوهم أبو الياس، الشفقة من أحد أو هي موظفة عند آل المر، إذ إن معظمها كما سكان المتن تعمل في الإدارات العامة أو لها عملها الخاص. فضلا عن أنها اكتسبت الجنسية عن حق ومنذ عشرات السنين وتتمتع كما اللبناني بحقوقها كاملة،

يختلف وضع مجنسي المتن الشمالي عن عرب الفاعور. سيف مجنسه (النائب ميشال المر) مسلط على رقابهم دوما. لذلك يتفادون القيام بأي حركة سياسية قد تزج زعيمهم القايض على بطاقاتهم، إذ درجت العادة على أن يهددهم المر قبيل كل استحقاق نيابي بالظعن بمرسوم تجنيسهم، فيجبرون على الامتثال لأوامره وتنفيذ رغباته الانتخابية. يتولى مسؤولية هؤلاء محام في العمارة يدعى أيضا إلياس المر، مهمته تلبية طلباتهم والاتصال بهم وزيارتهم قبل الاستحقاق النيابي من أجل تحديد موعد لاستقدامهم الى مراكز الاقتراع بسيارات المر الخاصة. إلا أنه وبعد أن حصلوا